القاهرة تتطلع الى صورتنا المصرية

أربعـــون يوما
فى الصحراء الغربية
للأستاذ عبد الله حبيب

— ١ —

فى هذه الأيام يتجاوب البرق فى أنحاء العالم بذكر حدود مصر الغربية وتتطلع الدول إلى ما يجرى فى هذه الحدود من التحصين والاستعداد وتحرك الجيوش من الجانبين : المصرى والايطالى . وقد ارتحل المحرر إلى هذه الأنحاء الثائرة فقضى بها أربعين يوما ، وهو فى هذه المقالات يصف مشاهد الصحراء الطريفة ويتحدث إلى القراء بأنفع المعلومات فى أسلوب سهل موجز

سحر الصحراء

فى مثل هذه الأيام من العام الماضى كان الربيع قد أقبل على الوجود بوجهه المزدهر الباسم — وفى الربيع تتجاوب الذكريات —

كانت السيدة عائشة الملجأ الأخير الذى ترفع إليه مسائل الخلاف والروايات وأحكام الشريعة لتمحيصها والقضاء فيها القضاء الفصل

ومن هنا توقن أن حياة السيدة قد بنت مجداً باذخاً لتاريخ المرأة العلمى فى الإسلام ، بل إن عبقريتها وحدها كفيلة بملء تاريخ كامل ، فلست أعلم فى عبقريات الرجال والنساء ما يدانى مكانة السيدة . وما أجدر سيداتنا — ونحن فى مطلع بعث ونهضة — أن يصلن حلقات هذا التاريخ الذى بدأته امرأة منهن فى صدر الإسلام ، فتتلمذ عليها مشيخة المهاجرين والأنصار من كل حى وعالم وفقيه وقارئ وراوية ، وعنها وحدها نقل ربع الشريعة كما قال الحاكم فى المستدرك ، وليس هذا بكثير على من عمرت نحواً من خمسين عاماً بعد وفاة الرسول تنشر سنته وتفتى وتحدث وتستدرك ، حتى كونت لنفسها مدرسة من أقوى مدارس الحديث والفقه والتفسير وأوسعها(١)

« دمشق » سعيد ابو الفرفاق

(١) من مقدمة (الاجابة لايراد ما استدركته عائشة على الصحابة) للامام الزركشى ، وستصدر أول الشهر القادم محققة عالقة بالتعاليق والفهارس . تطلب من المكتبة الهاشمية بدمشق ومكتبة البابى الحلبى بالقاهرة

فذكرت فيما ذكرت رحلتى الأولى إلى الصحراء الشرقية ، وتمثل فى خاطرى سحر الصحراء وما يلقى المرتحل إليها من عناء هو أحب إلى النفس من الراحة والدعة والاطمئنان

ذكرت رحلتى تلك إلى سحراء سيناء فتطلعت نفسى إلى رحلة ثانية أرتحلها إلى الصحراء الغربية

ومحافظ الصحراء الغربية صديق قديم ، وهو من رجال السيف والقلم يمجد الأدب ويحب الأدباء ... فلتكن رحلتى الثانية إليه . وفى رحابه وصحبته سأجوب الصحراء وأرتاد نجوعها وأنزل على قبائلها ، وأشرف على هضابها ، وأهبط إلى وديانها ، وأقطع شعابها ومفاوزها

هتف بى سحر الصحراء ودعانى فلبيت ...

ولقد كان للعرب من قبل — كالقريزى والمسعودى واليعقوبى وأبى الفداء وغيرهم — شرف السبق فى ارتياد الصحارى واجتياز مجاهلها مستهدفين لأخطارها فى وقت لم يعرف عنها غيرهم إلا النذر اليسير ؛ وكانت هذه الصحارى — ولا تزال — سراً مجهولاً لهما قال عنها العارفون .

وفى رمال الصحراء المنبسطة ، وهدوئها الشامل ، وعظمة جبالها الشامخة ، وفى صفاء سمائها ، وجلال نورها ، وفى لياليها الساحرة ؛ فى هذا ، وفى أروع من هذا ما يخلب لب روادها ، ويجذبهم إلى ارتيادها ، وفيه ما يغرى النفس بالتغلب على وعورة طبيعتها ليشعر بعد ذلك بلذة الانتصار والغلبة .

أما ساكنو هذه الصحارى من البدو ، وما فطروا عليه من بساطة العيش فإنك تدرك حين تخالطهم سر عظمتهم وبعد نظرهم وبساطة حكمهم ، وحلاوة شمائلهم ومعرفتهم للنجوم ، واتجاهاتها وهبوب الرياح وعلاماتها وأوقاتها ، وتدرك على الجملة سر سيادتهم على هذه الصحارى وجملهم أدلتها .

وفى هذا المقال سأتحدث إلى القراء فى كلمات وجيزة عن المعلومات التى يجب على كل مصرى معرفتها فى وقت يهتم العالم فيه بهذه البقاع التى تقع فى داخل حدودنا المصرية .

لغة البدو وديانتهم ومعارفهم

يتكلم البدو بلهجة عربية تختلف عن اللهجة الفصيحة اختلافا بسيطاً ، ومن السهل أن يتفهمها سكان المدن . وهم يكثرون

فى كلامهم من ضرب الأمثال . أما ديانتهم فهى الإسلام . لكن القليل منهم من يعرف قواعده . وأكثرهم أميون لا يقرأون ولا يكتبون، ولكنهم يعبرون عن العدد بأصابع اليد، ويعرفون فصول السنة والجهات الأربع ، ويجعلون مواعيدهم طلعة الهلال أو طلعة القمر .

لهم رشاقة القد ، وخفة الحركة ، وجمال العيون ، وذكاء النظرة ، وسمرة اللون ، وقلة شعر العارضين ، ودقة الأنف ، ولنسائهم ولع شديد برسم الشفاه ، وهو عندهن آية الجمال

تقوم زراعتهم على الأمطار إلا فى بعض الواحات وحول الينابيع والآبار، وهم يزرعون الشعير والأذرة والبطيخ والقمح أحياناً، ويصنعون البيوت من شعر الإبل والغنم وكذلك يصنعون منها ملابسهم وخيامهم، ويعتنون بتربية الإبل والخيل والغنم ويستولدونها ويتجرون بها كما يتجرون بالبلح والعجوة وهو محصول النخيل

يسكن البدو خياماً من الشعر يحيكها نساؤهم ويقيمونها على شكل ظهر الثور جاعلين أبوابها نحو الشرق . ويلبس البدوى قميصاً قصيراً فوقه آخر أطول ثم يلبسون فوق ذلك عباءة ، وذلك لباس متوسطى الحال منهم ، أما الطعام فالشعير والأذرة والقمح والأرز والبلح وما ينتج من الحليب والسمن والدقيق ، وهم يحبون أكل اللحم جداً مفرطاً ، وقلما يأكلون الأسماك

اشتهر البدو بحب الفضيلة والضيافة والكرم والغزو والنجدة والأخذ بالثأر والشجاعة وعزة النفس والشورى ، لكن فقرهم يفقدهم كثيراً من هذه الأخلاق ، ويجعل أكثرهم السيوف وهى عديمة وتتحلى أغمادها بالفضة ، ويحمل بعضهم البنادق من الطراز القديم ، ويحمل رعاة الإبل « الدبوس » وهو عصا قصيرة فى رأسها كتلة ، أما حليهم فهى العقود من الخرز والفضة ويلبسون خواتم ضخمة من الفضة والقصدير

أما خرافاتهم فكثيرة ، وهم يعتقدون فى الإصابة بالعين ويعتقدون الخرز فى رقابهم وزرائب حيواناتهم ضد الحسد . وليس عندهم من آلات الموسيقى غير الربابة والصفارة والمقرون « الزمارة » وهم يغنون الشعر ، وغناء الرقص عندهم يقال له « الدحية » والسامر ، أما الدحية فهى أن يقف المغنون صفاً واحداً ويليهم

أسماء سعيدة فى الصحراء الغربية . مارس ١٩٣٥

(مع زعماء العشائر : المحرر فى لباب البدو بين الأعراب)

شاعر يرتجل الغناء وأمامهم غادة ترقص بالسيف وهم يرقصون ويرددون ويهزون رؤوسهم يميناً وشمالاً بشكل منتظم . وأما السامر فهو تقريباً مثل الدحية فلا يختلف إلا فى أن يقف الرجال على صفين متقابلين وأمام كل صف حسناء ومعها سيف للرقص به .

أما القضاء عندهم فموكول إلى قضاة من خواص رجالهم يحكمون بينهم بالعرف والعادة على أوضاع عديدة ، وأما محاكمهم فعلى درجات ثلاث ، وأحكامهم وشرائعهم لا يمكن حصرها فى هذه السطور ، فلكل جريمة شريعة خاصة، وتسمى هذه الشرائع روابط القبائل ومنها شريعة القتل وشريعة الجروح وشريعة النساء وشريعة الإبل

(يتبع)

عبد الله

١٢ ، ٥٥